

الدرس الثالثون

تاريخ التشريع الإسلامي

الرجل الذي أحس بظلم سيقع عليه بالنسبة لعقار ما، فاتفق مع رجل يبيعه له ببيع صوري.

بقي لدينا من الدور الرابع مذهب الشيعة الذي نما وترعرع في هذا الدور.

أهم فروع هذا المذهب هما الشيعة الزيدية والشيعة الإمامية.

❖ أما الزيدية فنسبة إلى زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنه وهو إمام جليل وفقه كبير ومن أبرز الأعمال السياسية التي عرف بها خروجه على هشام بن عبد الملك بالكوفة وقصده استعادة الخلافة من بني أمية إلى آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو مجتهد من المجتهدين مثله البصري والثوري والأئمة الأخرى.

من أبرز أصول هذا الفرع:

1- يشترط للإمام أن يكون مجتهداً عالماً قد بلغ مرتبة الاجتهاد وهو شرط يقول به جمهور كبير من علماء المسلمين.

2- إنهم لا ينكرون إمامة أبي بكر وعمر وعثمان ولا ينتقصون من شأنهم قط ولكنهم يرون ويجتهدون أن علي كان أولى بالخلافة منهم، وأكثرهم الآن باليمن وأطرافه ونلاحظ أن أصولهم لا تختلف عن أصول أهل السنة والجماعة إلا من ناحية اجتهادية من موضع سيدنا علي، المهم أنهم اتفقوا كما اتفق الأئمة على خلافة أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وكل ما نقل عن زيد من الأحكام تتفق مع أحكام أهل السنة والجماعة بنحو 60 - 70 % واختلافه معهم بنحو 30 % كما تختلف كل إمام مع الآخر.

❖ الفرع الثاني هم الإمامية: نسبة إلى الإمام جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه ولد عام 80 هـ وروى عن الإمام مالك وأبو حنيفة وثلة كبيرة من المحدثين والفقهاء وهو ثقة عند جمهور علماء الحديث، وهو ابن محمد الباقر رحمه الله تعالى وأيضاً هو لا يختلف عن الأئمة إلا مثل سابقه ولكن فيما بعد تبلور فكر ومنهج مذهبي للذين إلى جعفر الصادق وهذا المنهج يتسم بما يلي:

1- القول بعصمة الأئمة: لم يكتفوا بشرط اجتهاد الأئمة بل إنهم لا يفرض منهم خطأ ولا يقعون في معصية صغيرة أو كبيرة وأن علياً رضي الله عنه هو الذي أفضى إليه رسول الله بباطن الشريعة وحقائقها من دون الآخرين، بناءً على هذا يقولون إن الشريعة الإسلامية كلها تأخذ نصاً ولا يمكن أن يأخذ حكم من الأحكام اجتهاداً لأنها تأخذ كلها من الأئمة الأئمة معصومون فهم يعرفون حقائق الشريعة دون حاجة إلى الاجتهاد، لأن قولنا اجتهاد فالجتهاد معرض للخطأ والصواب وبما أنهم معصومون فلا اجتهاد والين كله عبارة عن حقائق غير قابلة للاجتهاد وللنظر وللخلاف، لأنها تأخذ من أئمة معصومون ثم إنهم لا يقرون بخلافة الشيخين وللشيعة الإمامية فقه (مذهب فقهي) فيه 60 % اتفاق.

سؤال: هل يمكن إتباع هذين المذهبين؟

الجواب: لا مانع من إتباع أي مذهب بشرط، وهو التأكد من إمام المذهب قائل هذه الأحكام والسند صحيح عندها نقول قلد ولا تهتم فأنت إن تأكدت أن الليث بن سعد قائل هذا الحكم فقلد ولا عليك فكيف إن كان القائل جعفر الصادق وهو من أوائل المجتهدين وعرف عنه الورع، هذا الشرط نفسه هو الذي يسمح لنا بإتباع الآخرين والذي يجعلنا على يقين أن تلاميذه خدموا المذهب ونقلوا إلينا بشكل علمي أصيل هذه التطبيقات، الاختلاف في الأحكام ليس

مشكلة المهم أن نجعل من عقيدتنا بوتقة تحصرنا على صراط الله وتجمعنا على نصره دين الله والاعتصام به.

فإذا وجد خلاف عقيدي بين أهل السنة والجماعة وبين القدرية الذين يقولون لا يوجد قدر وبين المعتزلة الذين يقولون أن الإنسان يخلق فعله، ولكن لا يوجد خلاف بين أهل السنة والشيعة في العقيدة، بل الخلاف ينحصر في شيئين:

1- الاجتهاد الذي جنح إليه هؤلاء الإخوة أن سيدنا علي أولى بالخلافة، سواء اتفقوا على خلافة الشيخين أم لا.

2- عاطفة نحو آل البيت: الأولى تاريخية والثانية عاطفية.

❖ الأولى موضوع تاريخي مضى وولى ولا مجال للبحث فيه، فقد رحلوا جميعاً إلى الله سبحانه وتعالى، والزمن لا يعود، وما الذي نستفيدة من المناقشة الآن، لا سيما وأن أصحاب القضية كلهم اتفقوا ورضوا عن خلافة بعضهم مثلاً: عندما استشار سيدنا أبو بكر مجلسه وعزم على مقاتلة المرتدين اخترط سيفه ولبس عدة الحرب وأراد الخروج مع الجيش ليقاتل بنفسه هو أيضاً فأقبل عليه سيدنا علي وقال له: يا خليفة رسول الله أقول لك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم (شح سيفك وامتعنا بنفسك، وارجع إلى المدينة فوالله لئن فجعنا أو فجع المسلمون بك لن يقوم للمسلمين نظام من بعد)، فظل يضغط عليه حتى رجع.

❖ بالنسبة للعاطفة وهو أمر يجب أن نشترك معهم به فكيف يجتمع المسلمون إذا لم تفيض قلوبهم بحب آل البيت، ولكن الحب لا يعني انتقاص الصحابة بل الحب يجعلنا ندين لهم المحبة وسمعوا كلام البيهقي في همزته:

آل بيت النبي طبتهم فطاب المدح لي فيكم وطاب الثناء

أناحان مدحكم فإذا نحت عليكم فإنني الخنساء
سدتم الناس بالتقوى وسواكم سودته البيضاء والصفراء
غير أني فوضت أمري إلى الله وتفويضني الأمر براء

بهذا يمكن جمع شتات المسلمين ونقول موضوع الخلاف ليس مشكلة شريعة
التيقن من أن إمام المذهب قائل هذا الكلام ولنعلم أن الإمام أبو حنيفة تتلمذ
على يد أبي جعفر والحمد لله رب العالمين.